جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 19، العدد 1
شعبان 1443هـ / مارس 2022م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

مارس 2022م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 19 العدد 1
https//:doi.org/10.36394/jhss/19/1/8

الوزير كمال الملك علي بن أحمد السميرمي (ت516ه/1122م) ودوره في الدولة السلجوقية

نوف سعيد عبد الله[1]

عصام مصطفى عقلة[2]

تاريخ الاستلام: 22-04-2020 **تاريخ القبول: 17-06-2020**

ملخص البحث:

تناول البحث شخصية من الشخصيات التي أثرت في الحياة السياسية في العصر السلجوقي في فترة عصر السلطان محمد (ت511ه/1117)، وابنه السلطان محمود (ت525ه/1131م)، وقد استعرض البحث نشأة السميرمي، وتدرجه في المناصب حتى وصل إلى سدة الوزارة، كما استعرض البحث الأحداث التي دارت في تلك الفترة، والشخصيات التي أسهمت في علو شأن السميرمي، وكان أكثرهم تأثيراً زوجة السلطان محمد كهر خاتون (ت 511ه/117م)، والوزير أنوشروان (ت531هـ / 1136م)، كما تعرض البحث للديوان الخاتوني؛ إذ إنه كان من أول الأماكن التي عمل بها السميرمي، و استعرض البحث دور السميرمي في الصلح الذي تم بين السلطان محمود والسلطان سنجر (ت.552ه/1157م)، والذي أسهم في إحكام السميرمي لقبضته على البلاط السلطاني والدولة إلى أن قتل السميرمي في العام (516ه/1122م).

الكلمات الدالة: السميرمي، السلاجقة، الوزارة.

(1) كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الشارقة (الشارقة - الإمارات العربية المتحدة)
noor__3eny@hotmail.com

(2) كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الشارقة (الشارقة - الإمارات العربية المتحدة)

المقدمة:

من الجدير بالذكر أن سلاطين السلاجقة كانوا حريصين في اختيار وزرائهم، وحددوا بعض الصفات التي يجب أن تتوافر في الوزير؛ لأن أغلب سلاطين السلاجقة كانوا غير ملمين بالعلوم والمعارف، واللغة والفقه، وبطبيعة المؤسسات الإدارية، وكيفية إدارة أمور البلاد، فأوكلوا هذه المهام لوزرائهم لتسيير المهام السياسية والإدارية والمالية، بينما بقيت أمور الجيش والحرب بأيدي السلاطين لأنهم بطبيعتهم رجال حرب، وعلى الرغم من ذلك، فإن سلاطين السلاجقة قاموا باختيار بعض الوزراء الذين لم تتوافر فيهم صفات الوزير الجيد، وإنما كان اختيارهم بدافع حصول السلاطين على الأموال، وبحكم الظروف العصيبة والصراع الذي دار بين أفراد الأسرة السلجوقية حول كرسي السلطنة.

ويأتي من ضمن هؤلاء الوزراء كمال الملك السميرمي علي بن أحمد أبو طالب السميرمي وزير السلطان محمود، و كان السميرمي مجاهرا بالظلم والفسق أعاد المكوس[1] ببغداد بعد أربع عشرة سنة وقال ليلة قتله: «قد فرشت لي حصيرا إلى جهنم وقد استحييت من كثرة الظلم» فأصبح قتيلا سنة ست عشرة وخمسمائة للهجرة (الذهبي 1996:19 / 432).

وتحاول هذه الدراسة التعرف إلى نشأة الوزير السميرمي، وتدرجه في المناصب حتى الوصول للوزارة، والظروف التي أدت الى توليه مثل هذا المنصب، والقوى التي دعمته وساهمت في وصوله لمنصبه، وأهم القوى التي عارضته، وطرقها في التصدي لنفوذه، وأهم اجراءاته بعد توليه منصب الوزارة.

وتنبع أهمية الدراسة من أهمية منصب الوزارة السلجوقية الذي كان متوليه رأسا للسلطة المدنية الإدارية والمالية، وله أحيانا نفوذ على الجيش، وكان له صلاحيات كبيرة في الدولة السلجوقية، ولما كان السميرمي أحد الوزراء الأقوياء في الدولة السلجوقية، وتفرد بالكثير من القرارات التي أثرت سلباً أو إيجاباً على الدولة في أحوالها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، فتغدو دراسته مهمة لفهم أثر الوزراء عموما على الدولة السلجوقية، وأثره هو عليها.

(1) المكوس جمع مكس وهو الجباية والضريبة التي يأخذها الماكس، وهي دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، والمكس الضريبة كانت تؤخذ من يدخل البلاد من التجار، والماكس هو من يتولى جمع هذه الضريب. انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون. (2004م). المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ص881.

نشأته:

نشأ كمال الملك أبو الحسن علي بن أحمد السميرمي _ الذي لم تورد المصادر أي خبر عن تاريخ ولادته، ولا أي شيء عن نشأته الأولى _في سميرم[1] بأصفهان (الأصفهاني 2019 :1 / 421) ؛ لذا سمي بالسميرمي نسبة لبلده (السمعاني د.ت :7 / 246)، وكانت سميرم بلد رائعة الحسن، أنعم الله عليها بوفرة من الخيرات والجمال (ابن عساكر 2001 : 71 / 26)، وكان هواؤها يشفي العليل، ويطيب به المريض، وقد تطبع أهل سميرم بطبيعتها الجميلة الرائعة، فكانوا ذوي أخلاق رفيعة، وذكاء فطري، وكانوا أصحاب رأي سديد، وطيبة تظهر على وجوههم، وفي وسط هذه الطبيعة الساحرة نشأ كمال الملك في وسط أسرة يعمل أهلها بالزراعة (البنداري 1978 : 106 - 107)، وكانت هذه البلدة تتبع كَهر خاتون[2] زوجة السلطان محمد بن ملك شاه[3] (الذهبي، 2004، 5 / 279)، وكان والده يقوم بإدارة وزراعة أراضي كَهر خاتون، ويشغل وظيفة وكيل الديوان الخاتوني في سميرم (أمين، 1965 : 82).

(1) سمير: هي مدينة بين أصفهان وشيراز في منتصف الطريق وهي أخر حدود أصبهان، أنظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج3، بيروت، دار صادر بيروت، 1977م، ص257، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج71، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص26، السمعاني، الأنساب، ج7، عبد الكريم بن محمد بن منصور حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، د. ت، ص 246. واسمها الحالي سمير.

(2) كهر خاتون بنت مودود بن إسماعيل بن ياقوتي السلجوقي (ت 511هـ/ 1117م): زوجة السلطان محمد بن ملكشاه، وهي أم السلطان محمود، اشتهرت بنفوذها على السلطان محمد، وقتلت قبيل وفاة السلطان محمد، من قبل حاشيته خوفاً من نفوذها. أنظر: البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ط2، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1978م. ص106 - 107، عقلة، عصام مصطفى، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتيم السلجوقيات (447 – 511هـ / 1055 – 1117م)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مجلد 34، ملحق، 2007، ص795.

(3) السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بنُ ملكاه (ت : 511م / 1117م) غِيَاثُ الدّين، أَبُو شُجَاعٍ مُحَمَّدُ ابنُ السُّلْطَان ملكاه بن أَلب أَرْسَلاَن التُّركِي، السَّلْجُوْقِي، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه وذلك بعض منازعاتٌ استمرت خمس سنوات من عام 492هـ حتى 497هـ، وقد انتهت الحرب بين محمد وبر كيارق سنة 497ه /1086م، إذ عقد الصلح بين الطرفين في هذه السنة، وبعد موت بركي ارقً عَظُمَ شَأْنُ مُحَمَّد، وَتَفَرَّد بالسلطنَة، وَدَانت لَهُ البِلاَدُ، وَكَانَ أَخُوْهُ سنجر يَخطُبُ لَهُ بِخُرَاسَانَ، وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فَحلَ آل سَلْجُوق، وكان خيراً، حسن السيرة، رؤوفاً بالعباد، فقط أبطل ببغداد المكس والضرائب، وكان يكسي ويطعم كل يوم 400 فقير، وقد منه مماليكه عن ظلم، وقد حارب الإسماعلية وانتصر عليهم وقتل منهم كثيراً، وأخذ منهم قلعة أصبهان وقتل ابْنَ غطاس مَلِكَهُم، ثُمَّ مرض فترة ومات في أخر سنة 511هـ بأصبهان انظر في ذلك : الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، ج19،تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،1996م،ص 506، أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الأرشد، بغداد، 1965م، ص82 .

أعماله قبل تولي الوزارة وإنجازاته:

كان السميرمي من الوزراء الذين قدمت المصادر صورة مهمة عن تدرجه في المناصب، والذي غدا عند الباحثين نموذجاً لتتبع ارتقاء رجال الإدارة السلجوقية في مناصبهم.

ومن المناصب التي تولاها قبيل وصوله لسدة الوزارة إدارة أعمال والده، وخاصة الأعمال التي كانت تتعلق بالسفر إلى خارج سميرم؛ لمقابلة وزير كَهرخاتون الأمير العميد محمد الجورقاني الطغرائي[1] (الأصفهاني، 2019: 1 / 421).

ويبدو أن والده اعتمد عليه بعد ذلك في تولى إدارة الأعمال الزراعية التابعة لديوان الخاتون كهر في كل مناطق الدولة، ولما لمس محمد الطغرائي فيه الكفاءة والمقدرة على إدارة الأعمال، اتخذه كاتمًا لأسراره، ومساعداً له في أعمال الديوان الخاتوني، فقام بتدبير أعماله ووفر له الأموال، وأصلح من شأنه، فارتفعت بذلك منزلته، وزادت مهابته، فانقلب حال الأمير العماد، وأصبحت له مكانة ومهابة عند الناس، فأدى ذلك إلى زيادة ارتباطه بكمال الملك واعتماده عليه (الأصفهاني 2019: 1 / 421، اقبال 1980: 256).

وبعد نجاحه في أعماله شغل منصب وزير كهرخاتون عندما أسند منصب عميد العراق إلى محمد الطغرائي، بتوصية من الطغرائي، فقد خاف إذا ولى أحدًا معروفًا هذا المنصب أن يستولى عليه منه ولذلك عهد بهذا المنصب إلى الكمال السميرمي، وهذا يدل على رفعة شأن منصب وزير الخاتون، حيث أنه بالرغم من تولي الأمير محمد الطغرائي عمادة بغداد وهو منصب رفيع الشأن، لم يترك منصبه كوزير للخاتون، وإنما جعل من ينوب عنه في القيام بهذا المنصب، وقد كان الكمال السميرمي في بادئ الأمر يعمل ضمن موظفي كتاب ديوان كهرخاتون، فلما أناب له الطغرائي منصبه كوزير للخاتون، وكان للديوان الخاتوني أعراف وقوانين محددة ومعلومة، سواء كانت شفوية أو مكتوبة، يجب أن يعلم بها القائمون على الديوان؛ لمعرفة الواجبات والتخصصات لكل منصب في الديوان، وكان كمال الملك غير عالم بهذه المعلومات والأمور، فاستعان بعزيز الدين أحمد بن حامد[2] (الأصفهاني، د.ت : 43 - 60) . فأرشده وعلمه وأطلعه على أسرار العمل بالديوان

(1) الأمير العميد محمد الجرجاني الطغرائي (ت 504 – 507هـ) تولى وزارة كهر خاتون زوجة السلطان محمد بن ملك شاه بعد مختص الملك في العام 502هـ، انظر: العماد الأصفهاني، نصرة الفترة وعصره الفطرة، ج1، تحقيق: عصام مصطفى عقله، عمان، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2019م، ص421.

(2) عزيز الدين أحمد بن حامد بن محمد الأصفهاني (ت. 526هـ) أحد المشاهير في الدولة السلجوقية، والإداريين العظام توفي مقتولاً، انظر في ذلك: العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم أصفهان، ص 43 - 60، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج10، ص683.

ورسومه وأصول العمل بها وما خفي منها (ابن الأثير، 1987م، 10 / 683).

وقد كان ديوان الخاتون[1] قبل تولي الكمال إدارته كما وصفه العماد الأصفهاني ديوان خامل ليس به أي حركة، وكان هذا الديوان مقتصراً على العاملين به، وكان يدير أموال وضياع كهر خاتون بدون زيادة، ولم يحاول وزراء الخاتون أن يزيدوا هذه الأموال، أو أن يعلوا من شأن الديوان (عقلة، 2007: 296 - 298).

فلما جاء الكمال واستطاع أن ينظم ديوانها من حيث المرتبات وعدد الوظائف، وأفهمها أن الأشياء الراكدة والخمول يؤدي إلى نقص الهيبة والمكانة، وأصلح - بكفاءة تامة – شؤون ديوان الخاتون بعد أن تعرض للفساد والإهمال في عهد الأمير العميد، وأشار إليها بفكرة عظيمة تعلي من شأنها ومن مكانتها في السلطنة، فقد أشار عليها بما أنها ابنة أمير أذربيجان السابق الملك إسماعيل البغاتي[2] (ابن الأثير، 1987م : 10 / 24) أن تطلب من السلطان أن يجعل أجناد أذربيجان تحت أمرتها وأن تصرف معايشهم بأمرها، وقد أجاب السلطان لها طلبها، وأصدر السلطان الكتب بذلك، فتهافت لخدمتها أمراء أذربيجان، وازدحم على بابها الملوك، وتبادر وصول الهدايا إليها، فعظم شأنها وتعالت منزلتها، وعرفت أن كل هذا الجاه كان من وراء مشورة الكمال، فارتاحت كهرخاتون له، وولته كتابتها، ولما علم محمد الطغرائي الجاه الذي وصل إليه الكمال السميرمي، والمكانة العالية والحظوة التي نالها عند كهر خاتون، أوغر صدره وانتابه الغضب والحقد عليه، وخاف على منصبه منه، وبعث إلى كهرخاتون أن تعزله فلم تكترث الخاتون بكتابه وإنما ردت بأن هذا النائب له قدر عندي عظيم، وأصبح من رجالات الديوان المخلصين، وليس رد الجميل يكون بالإنكار فلقد أعلى من شأن الديوان الخاتوني وطوره كما ذكرت له حرمة الديوان الخاتوني وأنه لا بد من الحفاظ عليها وذلك بقولها : « أنت تعلم أيها العميد أن دور الحرم مبرمة لها معاقد العصم، محكمة لها قواعد العظم، وهي محجبة للستور، مصونة وجوه أسرارها عن السفور، لا سيما الملكة ومن في دارها ومحجبات أستارها، وأسرارها فما يجوز أن يتولاها في كل قريب غريب » (الأصفهاني، 2019م : 1 / 424) .

(1) سبب تسمية الديوان بهذا الاسم هو أنه كان يتبع زوجات السلاطين والأمراء والملوك واللاتي كن يحملن أسماء خواتين ولم يوجد هذا الديوان فجأة بل استمر في النمو حتى اكتما في عصر السلطان ملكاه، وعرف العاملون به بلقب الخاتنين الذي كان يتبع أسماءهم، مثل أرقش الخاتنين، أنظر في ذلك، عقلة، عصام، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتين السلجوقيات أنموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد رقم 34، 2007، ص796 - 798.

(2) الملك إسماعيل بن ياقوتي بن داوود جغري بن ميخائيل بن سلجق (ت. 486) ابن عم السلطان ملك شاه وصهره شقيق زوجته زبيدة بنت بركيارق وكان أمير أذربيجان، انظر: ابن الآثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبوالفداء عبدالله القاضي، ج10، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1987م، ص24.

فعرف الأمير محمد الطغرائي أن الأمر خرج من يده، وأن الحظوة التي حظي بها الكمال السميرمي عند الخاتون لا يستطيع شخص مهما علت منزلته أن يقلل منها، فتراجع وكتب إلى الخاتون كتابًا يجدد النيابة به للكمال، ويؤكد على قدرته وحسن خصاله ويعلل سبب طلبه منها عزله إنما كان بغرض تهذيبه

وبذلك ثبت منصب الكمال كنائب للوزير إلى أن توفى الطغرائي، فولته وزارة الخاتون (الاصفهاني2019: 1 / 425).

وزارة كمال الملك للخاتون:

- كانت من مهام السميرمي إدارة أملاك الخاتون وإقطاعاتها، والإشراف على الإداريين والعاملين لدى
- الديوان الخاتوني، حيث كانت أعمالهم تتمثل في استقبال المبعوثين القادمين إلى الخاتون، وإرسال
- مبعوثين إلى من تريد، واستقبال الرسائل وعرضها عليها، والرد عليها، والإشراف على مقابلات الخاتون وترتيب مواعيدها ولقاءاتها، والإشراف على إقطاعات الخاتون ونفقات الجنود التابعين لها (عقلة، 2007: 797).

توليه منصب إشراف المملكة:

أوردت المصادر روايتين حول تولي السميرمي لهذا المنصب؛ إذ أورد العماد الأصفهاني في كتابه نصرة الفترة الرواية الأولى التي تنسب الفضل في توليه المنصب إلى الخاتون، وانها التي توسطت له لدى السلطان فولاه ديوان «إشراف المملكة» فارتفعت منزلته بذلك (الأصفهاني، 2019م، 1 / 426)، أما الرواية الثانية فقد أسندت الفضل في توليه إشراف المملكة لأنوشروان[1] (الأمين، 1983 : 504) الذي كتب فقال لما توفي العميد عرف الكمال أن منصب وزارة الخاتون لا يخْلُ له، وطمع في منصب من المناصب السلطانية وكلمني

(1) توفي الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد سنة 532ه وكان رجلا عاقلا شهما دينا خيرا وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب إلى ذلك ثم يخطب إليها فيجيب كارها وكان فيه تشيع وهو كان السبب في عمل المقامات الحريرية (انتهى) وفي شذرات الذهب أنوشروان بن خالد الوزير أبو نصر القاشاني وزر للمسترشد وللسلطان محمد وكان من عقلاء الرجال ودهاتهم وفيه دين وحلم وجود مع تشيع قليل وكان محبا للعلماء موصوفا بالجود والكرم انظر :الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دارالغرب الإسلامي، 2003 ؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج3، بيروت – لبنان، دار التعارف للمطبوعات، ط 1، 1983، ص504 ؛ إقبال، عباس . (1980م)، الوزارة في عهد السلاجقة، ت. أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، مطبوعات الجامعة، ص388.

في ذلك، فأطمعته في جانب الأستاذ أبي إسماعيل ومدحته وقويت حجته وقلت له أنه منشئ وطغرائي وهو متمكن من الكتابة وهو كفء لهذا المنصب، ثم أعنته وعنيت به وذهبت به في مذهبه حتى تم له ما أراد بعد أن تردد سنة في طلب منصب إشراف المملكة . (الأصفهاني، 2019م: 1 / 426) ويرى الباحثان أن سبب رغبة الكمال بتولي منصب الإشراف ناتج عن حاجته لمنصب يحميه في وسط الصراع الدائر بين رجال الإدارة، ومعرفته أن وفاة السلطان محمد تعني نهاية ديوان كهر خاتون لذلك رغب في منصب يبقيه في السلطة.

عندما تولى السميرمي الإشراف تقرب من السلطان، وأصبح كاتم أسراره، وكان يفصح السلطان له بأحواله، وتمتع كمال الملك بنفوذ واسع في أواخر عهد السلطان محمد، وأصبح يسمع لرأيه، وقد استغل السميرمي ذلك في الإطاحة بأعدائه، فقد تأمّر على وزير السلطان محمد، وقلب السلطان عليه حتى غير رأيه فيه ووصل الأمر إلى سجنه وأخذ ماله. (إقبال، 1980م: 257)

تولى السميرمي ديوان الإشراف بعد خلو المنصب، وبعد أن أطاح بكل المقربين إلى السلطان، ولم يتبق إلا مختص الملك المستوفي، والأستاذ إسماعيل الطغرائي. أما المختص فقد عزل وتمت مصادرة أمواله وألزمه بيته، ثم أشاع بأن الأستاذ إسماعيل الطغرائي ساحر وملحد، وأن مرض السلطان بسببه فعزلوه، ثم قتلوه. (الحسيني 1984: 97)، ولم يتبقَ أمام السميرمي أي شخص يخشاه، فالوزير الجديد ربيب الدولة كان ضعيف الشخصية، فتمكن السميرمي من الإمساك بزمام السلطنة، ولم يبق له إلا خطوة تقربه من الوزارة (الاصفهاني2019: 1 / 435)

توليه الوزارة:

بعد أن توفى السلطان محمد استولى كمال الملك على كافة الأعمال، ولما تولّى السلطان مغيث الدين محمود عام 511ه / 1117م - مكان أبيه – بقى كمال الملك في منصبه إلى أن مات ربيب الدولة قبل أن ينتهي شهر ربيع الثاني بيوم واحد، وذلك في عام 513هـ / 1117م وكانت وفاته سابقة على معركة ساوة[1] (التي وقعت بين السلطان محمود وسنجر)

(1) عن موقعة ساوة: كان سبب الموقعة أن السلطان محمد قبيل وفاته أمر بإسناد السلطنة إلى ابنه محمود، الذي ارتقى عرش السلطنة بعد وفاة أبيه، وكان حينئذ في الرابعة عشرة من عمره، ووافق الخليفة العباسي المستظهر بالله «487 – 512هـ» على إقامة الخطبة للسلطان محمود ببغداد في يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من محرم 512هـ ولكن عمه سنجر لم يرضِ عن تولي ابن أخيه عرش السلطنة لأنه يعتبر نفسه أحق منه بالسلطنة بعد وفاة أخيه محمد، فأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة فغير= = لقبه من ناصر الدين إلى لقب معز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه, وأدى ذلك إلى انقسام الدول السلجوقية، واندلاع القتال بين سنجر وابن أخيه، وقد التقى محمود

(الأصفهانـي، 2019: 32)، فلمـا مـات ربيـب الدولـة اسـتقلّ كمـال الملـك بـوزارة السـلطان محمـود[1] (ابـن حمـدون، د.ت: 169).

أعماله في الوزارة:

ولمـا حدثـت الفرقـة بيـن السـلطان محمـود وعمـه السـلطان سـنجر، وحدثـت موقعـة سـاوة، وانتصـر السـلطان سـنجر علـى ابـن أخيـه السـلطان محمـود، حـاول الدركزينـي [2] الصلـح بيـن السـلطان محمـود وعمـه مـن أجـل التقـرب للسـلطان سـنجر وأن ينـال عنـده الحظـوة، ولمـا رأى كمـال الملـك السـميرمي – وزيـر محمـود- ان الدركزينـي بـات مقرًّبـا مـن سـنجر خشـي أن يقبـض عليـه، فبـادر إلـى تقديـم النصيحـة لمحمـود بإطاعـة عمـه وتنفيـذ أوامـره باعتبـاره فـي منزلـة أبيـه. ولكـي يـزف البشـرى إلـى سـنجر، غـادر أصفهـان إلـى الـري حيـث يقيـم. والتقـى فـي طريقـه بالدركَزينـي فحـاول رده علـى أعقابـه دون فائـدة. ودخـل الدركزينـي أصفهـان، ووصـل كمـال إلـى الـري. وفـرح سـنجر بحضـور وزيـر ابـن أخيـه حامـلاً اعتـذاره، وأصـدر أمـره باسـتقباله بمـا يليـق بمقامـه مـن حفـاوة وتكريـم، وهكـذا أحبـط تدبيـر كمـال الملـك خطّـة الدركَزينـي. (الاصفهانـي، 2019م: 37).

وأرسـل السـميرمي إلـى السـلطان محمـود يسـتدعيه ويعلمـه أن عمـه قـد رضـي عنـه، وأنـه يجـب أن يأتـي إلـى عمـه، ولـم يجـد الدركَزينـي والأميـر علـي الحاجـب – بعـد إرسـال رسـول سـنجر إليـه – بـداً مـن الإسـراع بذهـاب محمـود إلـى سـنجر، والإقـرار بسـيادته وسـلطنته

بعمه سنجر بالقرب من مدينة ساوة سنة 513هـ، واستعان سنجر في هذه المعركة بفرقة من الفيلة كانت السبب في انتصاره، انظر في ذلك : العماد الكاتب الأصفهاني . (2019)، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، ج2، تحقيق :عصام مصطفى عقلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ص32 .

(1) حول تولي السميرمي الوزارة انظر: العماد الكاتب الأصفهاني، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، المرجع السابق، ص32، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 12 / 169 .

(2) هو قوام الدين أبوالقاسم زين الملك أنس آبادي الدركزيني عماد الدولة (وزير سنجر 526 – 527هـ) (ت – 527هـ) ولد الدركزيني في قرية أنس باد الموجودة في دركزين بهمدان وكان أحد أبناء الفلاحين هناك، وعاش في أصفهان، وعمل تحت امرة كمال الملك السميرمي وزير كهرخاتون زوجة السلطان محمد، وقد حصل على منصب وزارة حاجب السلطان الكبير والذي كان يشغل هذا المنصب في ذلك الوقت الأمير على بن عمر بن سرمه، وكان توليه هذا المنصب في العام الذي توفي فيه السلطان محمد (511هـ)، و قد منح السلطان محمد مبلغ 200000 دينار للفقراء استطاع الدركزيني أن يستولى على معظمه، وقد سهل هذا المبلغ للدركزيني أن يكون ذو شأن، والدركزيني واحد ممن اشتهروا بالدسائس في بلاط الدولة السلجوقية، وقد تسبب بدسائسه ومؤامراته في إيذاء وقتل عمال الديوان كما انه تسبب في حرب بين السلطان محمود وعمه السلطان سنجر، كما أو قع بين الخليفة العباسي والسطان سنجر وتسبب هذا في قتله سنة 527هـ . 5. الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي ابن أبي الفوارس ناصر بن علي . (1984م)، أخبار الدولة السلجوقية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص105، الأصفهاني، 2019م، 2 / 114

(الحسيني1979:79).

وبعد ذلك اجتمع السميرمي مع علي بار[1] واستقر الرأي على أن يبقى السلطان محمود بن محمد شهراً في خدمة عمه السلطان سنجر بالري وألا يدق له البوق في حالة ركوبه أو نزوله، وأن يسير مترجلاً في ركاب عمه، وأن يترك كل ما يتعلق بشعائر السلطنة ورسومها (الذهبي 1999م: 2 / 41). وأطاع محمود عمه السلطان سنجر ونفذ ما استقر عليه الرأي بينهما، فقرر السلطان سنجر اختياره ولياً لعهده ونائباً عنه في العراق سنة 513هـ / 1119م، وسمح السلطان سنجر له بأن يلقب بلقب سلطان؛ وبتلك يعتبر أول من جلس على عرش سلطنة السلاجقة بالعراق هو السلطان محمود بن محمد، وأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية خاضعاً وتابعاً لسلطنة السلطان الأعظم سنجر في خراسان، بمعنى أن سلطنة العراق في عهد السلطان سنجر لا تكون إلا لمن ارتضاه وأقره سنجر, وكان سلاطين العراق يخضعون للسلطان سنجر ويذكرون اسمه في الخطبة قبل أسمائهم، وقد اعترف الخليفة العباسي المسترشد بالله (ت 529ه/1134م) بمحمود بن محمد سلطاناً على سلاجقة العراق رغم صغر سنه (الوزنه 1993م : 94)، وفي سنة 514ه / 1118م خطب للسلطان سنجر وابن أخيه السلطان محمود معاً (الذهبي 1999م : 2 / 41). وكانت تلك أولى مهام الوزير السميرمي، وقد عمل ذلك على إعلاء شأنه عند السلطان سنجر، وإعلاء منزلته في بلاط ملك السلطان محمود.

ثم بعد أن عفا السلطان سنجر عن الوزير السميرمي، وعلى البار والدركزيني الذين كانوا السبب الرئيسي في خروج السلطان محمود عن طاعته، جعل الوزير السميرمي في منصب في الوزارة،

ومكن على البار بالإمارة، ومكن الدركزيني من منصب الطغراء والإنشاء (الاصفهاني2019:2 / 42)

وكانت أولى أعمال السميرمي بعد ذلك أنه قرأ منشور تعيينه بوزارة العراق، ثم أوغر صدر السلطان محمود على حاجبه علي بار حتى أوشك على قتله لكنه فر، وأرسل من ورائه من قتله (ابن الأثير، 1987: 10 / 557)، وقد كان نال مقتل علي بار السعادة والرضا من كل من في القصر (الاصفهاني2019: 2 / 46).

ثم تخلص بعد ذلك من الدركزيني وحبسه في بيته وهم بقتله إلا أنه لم ينجح في ذلك،

(1) الأمير علي بن عمر بن سرمة، أمير بار السلطان محمد بن ملكشاه، والسلطان محمود بن محمد، والمتغلب على دولة السلطان محمود بن محمد، قتل سنة 514هـ / 1120م، أنظر: الأصفهاني، 2019م، 1 / 435، الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ت: إبراهيم أمين الشواربي، الجيزة – مصر، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص234، 3000.

وولـى أخـاه النصيـر منصـب الطغـراء بـدلاً منـه، وكان النصيـر ثقيل الظـل، وكان سـيئ الخلـق، ومـن فـي القصـر يبغضونـه، وكانـوا يقولـون نعـم المولـى وبئـس النصيـر. (الأصفهانـي 2019م، 2 / 48).

ثـم بعـد ذلـك أسـس ديـوان المفـردات، وشـرع فـي مصـادرة أمـوال أعدائـه، مثـل علـي بـار، كمـا حاسـب عمالـه وصـادر أموالهـم وبتلـك الأمـوال امتـلأت خزانـة السـلطنة مـن الأمـوال، (الأصفهانـي2019: 2 / 47).

وكانـت إدارتـه متمثلـة فـي شـقيقه النصيـر فـي مركـز الطغرائـي، ونائبيـه شـهاب الديـن أسـعد، وشـمس الملـك بـن نظـام الملـك المسـتوفي، وكان صاحـب الاسـتيفاء عزيـز الديـن أب ونصـر أحمـد. (الأصفهانـي 2019: 2 / 66).

وهـذه الإدارة الماليـة لـه مكنتـه مـن إحـكام سـيطرته علـى الجهـاز الإداري، كمـا أن تخلصـه مـن الحاجـب علـي بـار أقـوى قـادة الجيـش جعلـه فـي مركـز قـوي جـدا أمـام الجيـش السـلجوقي (الأصفهانـي، 2019: 2 / 46 - 47).

الوزارة في عهد السميرمي:

كان الـوزراء فـي عصـر الدولـة السـلجوقية يتمتعـون بسـلطة عظيمـة، ومكانـة عاليـة وكانـت لهـم امتيـازات ضخمـة ومـن امتيـازات الوزيـر السـلجوقي، عندمـا يخـرج مـن الديـوان متجهـا للجامـع أو للبيـت كان يسـير فـي موكـب فخـم بيـن يديـه الغلمـان حامليـن السـيوف فعندمـا خـرج الوزيـر كمـال الملـك أبـو الحسـن بـن أحمـد السـميرمي مـن بغـداد إلـى همـذان، امتـاز موكبـه بالفخامـة والهيبـة بحيـث لا يقـل عـن هيبـة موكـب السـلطان (البنـداري 1978م : 121)، ركـب الوزيـر وكان بيـن يديـه الغلمـان حامليـن السـيوف، فضـلاً عـن ذلـك كان لـه علامـة خاصـة بـه وهـي بمثابـة التوقيـع (الظهرانـي 1980م : 70)

مكانة السميري:

أصبـح السـميرمي ثانـي شـخصية مهمـة فـي الدولـة بعـد السـلطان السـلجوقي حيـث وكل الإشـراف علـى جميـع مرافـق الدولـة (حلمـي 1975م: 102)، وبذلـك سـيطر السـميرمي علـى جميـع مرافـق الدولـة السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة، ولـم يتـرك للسـلطان سـوى قيـادة الجيـوش. وبالرغـم مـن الصلاحيـات الواسـعة للسـميرمي إلا أنـه كان مسـؤولاً عـن تصرفاتـه أمـام السـلطان محمـود (الظهرانـي 1980م : 94) .

وقـد قـال عنـه صفـي الديـن الأصفهانـي: « ولـم يكـن فـي وزراء الدولـة السـلجوقية أكثـر مـن السـميرمي حزامـة وصرامـة وفصاحـة فـي القـول ومعرفـةً بالعوائـد، ومعروفـاً للأماجـد، وجـوداً

للأجـاود، وهيبتـه تقطـع وتفرى، ورهبتـه تحـز وتبـرى، وكتبـه بالفارسـية يـدل منهـا علـى فضـل غزيـر، وعلـم كثيـر. (الأصفهانـي 2019م: 2 / 44)

مقتل الوزير السميرمي:

قتـل الوزيـر كمـال الملـك السـميرمي فـي سـنة 516هـ / 1122م وكان آنـذاك مـع السـلطان محمـود ببغداد، وتخلـف عنـه علـى أن يلحقـه فـي اليـوم التالـي، وأثنـاء عبـوره السـوق المعروفـة بالتتشـي[1] (ابـن الأثيـر 1987م : 10 / 60) . وهـو فـي موكبـه فـي أزهـى حللـه، وفـي زقـاق ضيـق فـي السـوق وثـب عليـه بعـض مـن الباطنيـة وضربـوه بالسـكاكين فجـرح ووضعـوه فـي دكان مـن دكاكيـن السـوق، وأحضـروا طبيـب ليداويـه، وفـي أثنـاء تطبيبـه وثـب عليـه رجـل مـن سـقف الـدكان وطعنـه فـي قلبـه عـدة طعنـات فقتلـه (البنـداري، 1978م: 123). ويـروى أن هـذا الوزيـر قتـل بيـد أحـد غلمـان الوزيـر السـلجوقي مؤيـد الديـن الطغرائـي (الظهرانـي، 1980م : 154) وكان الطغرائـي وزيـراً للملـك مسـعود الـذي أعلـن العصيـان علـى أخـوه السـلطان محمـود وسـير جيشـاً لمحاربتـه والتقـى الجيشـان عنـد أسـد أبـاد بالقـرب مـن همـدان وانتهـت المعركـة بهزيمـة نكـراء لجيـش الملـك مسـعود ووقـع هـو ووزيـره الطغرائـي فـي الأسـر. فعفـا الملـك محمـود عـن أخيـه مسـعود، وأوعـز كمـال الملـك للسـلطان محمـود بـأن الطغرائـي ملحـد، فقتـل نتيجـة لذلـك، ممـا أثـار حقـد غلمانـه علـى كمـال الملـك، فعزمـوا علـى قتلـه انتقامـاً لسـيدهم، وتـم لهـم ذلـك سـنة 515هـ (ابـن خلـكان، 1970م: 189).

ورغـم هـذه الروايـة إلا أن الباحثـان يرجحـان أن مقتـل السـميرمي كان وراءه معارضـوه فـي الإدارة والجيـش السـلجوقي، ويبـدو أنهـم تعاونـوا لتنفيـذ عمليـة قتلـه بعـد فشـلهم فـي جعـل السـلطان محمـود يعزلـه أو يحـد مـن نفـوذه

(1) سوق ومدرسة بناها خمارتكين التتشي في بغداد، انظر في ذلك: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10 / 60.

الخاتمة:

من خلال العرض السابق لحياة السميرمي والعصر الذي وجد فيه يتبين لنا أن هذا العصر كان مشحوناً بالدسائس، وكان الوزراء هم من يملك سلطة إدارة البلاد داخلياً وكانت لهم مكانة ومنزلة عظيمة، ولكن على الرغم من ذلك، كانت غالباً تنتهي حياة وزراء هذا العصر بالقتل نظراً للدسائس التي كانت مسيطرة على هذا العصر وخاصة في بلاط الملك، وقد أسفر البحث عن عدة نتائج سوف يتم ذكرها وهي:

1. تميز السميرمي بالذكاء والفطنة والدهاء وقد ساهم ذلك بقدر كبير في وصوله إلى سدة الوزارة
2. كانت كهر خاتون زوجة السلطان محمد والوزير أنوشروان العامل الرئيسي في تولي السميرمي كل الوظائف التي تولاها.
3. ظهور الدواوين الخاتونية في الدولة السلجوقية، وكان أول جهاز إداري في الدولة الإسلامية يتبع زوجات السلاطين.
4. تحكمت الخواتين السلجوقيات في السلاطين وفي إدارة البلاد من وراء الستار، وهذا أدى في النهاية إلى إضعاف الدولة.
5. كانت فترة السميرمي في بلاط الحكم مسلسل من الدسائس الذي لم ينتهي وقد تخلص السميرمي فيه من كل منافسيه.
6. قتل السميرمي من جراء دسائسه فقد قتله غلمان الوزير مؤيد الدين الطغرائي انتقاماً منه بعدما تسبب في قتل سيدهم بعد أن رماه بالإلحاد وكان السبب في قتله.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الأثير، عزالدين علي بن أحمد (1987). الكامل في التاريخ. (تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي) (ج10). دار الكتب العلمية.

الأصفهاني، محمد بن محمد العماد الكاتب (د.ت). خريدة القصر. قسم أصفهان.

الأصفهاني، محمد بن محمد العماد الكاتب (2019). نصرة الفترة وعصرة الفطرة (ج1). (تحقيق عصام مصطفى عقله). مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

إقبال، عباس (1980). الوزارة في عهد السلاجقة (ترجمة أحمد كمال الدين حلمي). مطبوعات الجامعة.

الأمين، محسن (1983). أعيان الشيعة. دار التعارف للمطبوعات.

أمين، حسين (1965). تاريخ العراق في العصر السلجوقي. مطبعة الأرشاد.

البندارين، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (1978). تاريخ دولة آل سلجوق (ط2). منشورات دار الآفاق الجديدة.

الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي ابن أبي الفوارس ناصر بن علي (1984). أخبار الدولة السلجوقية. دار الآفاق الجديدة.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (د.ت). التذكرة الحمدونية (ج12). مخطوط مكتبة احمد الثالث. نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات. الجامعة الأردنية.

الحموي، ياقوت بن عبد الله (1993). معجم البلدان (ج3). دار صادر.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (1972). وفيات الأعيان (ج2). (تحقيق إحسان عباس). دار صادر.

الذهبي، شمس الدين محمد (2003). تاريخ الإسلام. (تحقيق بشار عواد معروف). دار الغرب الإسلامي.

الذهبي، شمس الدين محمد (1999). دول الإسلام (ج2). (تحقيق محمود الأرناؤوط). دار صادر.

الذهبي، شمس الدين محمد (1996). سير أعلام النبلاء (ج19). (تحقيق شعيب الارنؤوط). مؤسسة الرسالة.

الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (2005). راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية (ترجمة إبراهيم أمين الشوارب). المجلس الأعلى للثقافة.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (1962). الأنساب (ج7). دائرة المعارف العثمانية.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (2001). تاريخ مدينة دمشق (ج71). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

حلمي، أحمد كمال الدين (1975). السلاجقة في التاريخ والحضارة. دار البحوث العلمية.

الزهراني، محمد مسفر (1980). نظام الوزارة في الدولة العباسية. مؤسسة الرسالة.

عقلة، عصام مصطفى (2007). المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتيم السلجوقيات (447 – 511هـ / 1055 – 1117). دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، *34*، 793 - 807.

الوزنة، يحي حمزة عبد القادر (1993). الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر. (تحقيق أحمد السيد دراج). جامعة أم القرى.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

ibna al'athīri 'izzālddīna 'aliyya bn 'aḥamida 1987). alkāmila fī al-ttārīkhi (taḥqīqun 'abī alfidā'u 'abda al-lhi al-qāḍy j dāra alkutubi al'ilmiyyati

al-'āṣfhāny muḥammada bn muḥammadu al'imādi alkātibi d t kharīdata alqaṣri qismu 'aṣfhān

al-'āṣfhāny muḥammada bn muḥammadu al'imādi alkātibi 2019). naṣrata alfatrati wa'aṣrati alfuṭrati j (taḥqīqa 'iṣāmi muṣṭafā 'aqlihi mu'uassasata alfurqāni lil-tturāthi al'islāmiyyi

ʾiqbālun ʿabbāsa 1980). alwizārata fī ʿahdi al-slājqh tarjamatan ʾaḥamida kamāli al-ddīni ḥalimī maṭbūʿāti aljāmiʿati

alʾamynu muḥsina 1983). ʾaʿīāna al-sshīʿati dāru al-ttaʿārufi lil-maṭbūʿāti

ʾamynun ḥissayni 1965). tārīkha alʿirāqi fī alʿaṣri al-ssaljūqiyyi miṭbaʿatu al-ʾārshād

al-bndāryn alfatḥa bn ʿaliyyu bn muḥammadu al-ʾāṣfhāny 1978). tārīkha dawlati ʾāla saljūqin ṭ manshūrāti dāri alʾāfāqi aljadīdati

ilḥasīnī ṣadara al-ddīnu ʾabū alḥusni ʿuliya ibnu ʾabī alfawārisi nāṣara bn ʿaliyyu 1984). ʾakhbāra al-ddawlati al-ssaljūqiyyati dāru alʾāfāqi aljadīdati

ibna ḥamdūnin muḥammada bn alḥusni bn muḥammadu bn ʿaliyyu d t al-ttadhakkurata alḥamdūniyyata j makhṭūṭa maktabatin iḥmadi al-tthālitha nuskhatu muṣawwiratin fī markazi alwathāʾiqi wa-al-makhṭūṭāti aljāmiʿatu alʾurduniyyatu

ulḥumuī yāqūta bn ʿabdi al-lhi 1993). muʿjama albuldāni j dāra ṣādira

ibna khallikāna ʾaḥamida bn muḥammadu bn ʾabī bikri 1972). wafiyyāti alʾaʿyāni j (taḥqīqa ʾiḥsāni ʿabbāsi dāra ṣādira

al-ddhahabiyyu shamsa al-ddīni muḥammada 2003). tārīkha alʾislāmi (taḥqīqun bishārin ʿawwādi maʿrūfi dāra algharbi alʾislāmiyyi

al-ddhahabiyyu shamsa al-ddīni muḥammada 1999). dūʾala alʾislāmi j (taḥqīqa maḥmūda al-ʾārnāʾūṭ dāra ṣādira

al-ddhahabiyyu shamsa al-ddīni muḥammada 1996). sayra ʾaʿlāami al-nnubalāʾi j (taḥqīqa shuʿaybi al-arnʾūṭ muʾuassasata al-rrisālati

al-rrāwandiyyu muḥammada bn ʿaliyyu bn salīmāni 2005). rāḥata al-ṣṣudūri waʾāyati al-ssurūri fī tārīkhi al-ddawlati al-ssaljūqiyyati tarjamata ʾibrāhym ʾamyna al-sshawāribi almajlisa alʾaʿlā lil-tthaqāfati

al-ssimʿāniyyu ʿabda alkarīmi bn muḥammadu bn manṣūri al-ttamīmiyyi 1962). alʾansāba j dāʾirata almaʿārifi alʿuthmāniyyati

ibna ʿasākiri ʿuliya bn alḥusni bn hibati al-lhi bn ʿabdi al-lhi al-sshāfiʿiyyi 2001). tārīkha madīnati dimashqi j dāra alfikri lil-ṭṭibāʿati wa-al-nnashri wa-al-ttawzīʿi

ḥulmiyyun ʾaḥamida kamāli al-ddīni 1975). al-slājqh fī al-ttārīkhi wa-al-ḥaḍāarti dāru albuḥwthi alʿilmiyyati

al-zzahrāniyyu muḥammada musfira 1980). niẓāma alwizārati fī al-ddawlati alʿabbāsiyyati muʾuassasatu al-rrisālati

ʿaqlatun ʿiṣāma muṣṭafā 2007). almarʾata wa-al-ssulṭata fī alʾislāmi alkhawātīmu al-ssaljūqiyyātu 447 – 511h / 1055 – 1117). dirāsātin alʿulūma alʾinsāniyyata wa-al-ijtimāʿiyyata 34807 793- ،.

alwaznatu yaḥyā ḥamzati ʿabdi alqādiri 1993). al-ddawlata al-ssaljūqiyyata fī ʿahdi al-ssulṭāni sanajurru (taḥqīqun ʾaḥamida al-ssayyidu darrāju jāmiʿatan ʾami alqurā

Title: Minister Kamal AlmAlyk Aly Bin Ahmed Al-Samirmie (516 AH / 1122 AD) and his Role in the Seljuk State

Nouf Saeed Abdullah(1)

Issam Mustafa Okleh(2)

Abstract:

This research dealt with a figure that influenced the political life of the Seljuk Age in the reign of Sultan Muhammad and his son Sultan Mahmoud. It reviewed Al-Samirmie's early life and the multi-positions he occupied till reaching the ministry's post. It also reviewed the events that took place in that period and the characters that played a key role in Al-Samirmie's superiority including Kahr Khatun - Sultan Mohammad's wife and the Minister Anshoran. The study shed light on the Khatun Court being the first place where the Al-Samirmie worked. The research also discussed Al-Samirmie's role in the reconciliation between Sultan Mahmoud and Sultan Sanjer that mainly gave Al-Samirmie full control over the royal court and the country till his assassination in 515 Hijri.

Keywords: Al-Samirmie, Seljuks, The Ministry.

(1) College of arts Humanities and Social Sciences - University of sharjah (sharjah - U.A.E.)
noor__3eny@hotmail.com

(2) College of arts Humanities and Social Sciences - University of sharjah (sharjah - U.A.E.)